٥

المدينة المهدوية والحضارة الإسلامية (مدينه مهدوى وتمدن اسلامى)

سيد عباس حسيني (باكستان)[١]

الخلاصة

النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو المؤسس للحضارة الإسلامية، وكانت مدينة الرسول عاصمة هذه الحضارة. وقد انتشرت هذه الحضارة إلى أقصى نقاط العالم عبر القرون، واستفادت البشرية من معطياتها. يستفاد من النصوص الدينية أنّ هذه الحضارة ستعاد بشكل أكمل وأتمّ بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام الذي يتفق على ذاته الشيعة والسنة معا، وأن الأديان جميعا تتفق بمجيء المصلح العالمي قبل نهاية العالم. الخطوة الثانية للثورة الإسلامية تهدف الوصول إلى المدينة المهدوية بشكل ممكن في عصرنا الراهن وتقديم التمهيدات اللازمة للمدينة المهدوية حتى تتحقق أسسها بيد صاحبها عليه السلام.

المقال هذا يبحث عن المدينة المهدوية كأرقى حضارة إسلامية ستتحقق بيد الإمام المهدي عليه السلام وأنها هي الأسوة لجميع المدن الإسلامية ولا سيما للجمهورية الإسلامية كونها أسست باسم هذا الإمام. تطرّق المقال إلى صراع الحضارات وخصائص المدينة المهدوية وأشارت بالتفصيل إلى الوضع المادي والمعنوي لهذه المدينة استقراء من النصوص الدينية لتكون أسوة أمام الحكومات الدينية.

المفردات الدلالية: الحضارة، صراع الحضارات، الحضارة الإسلامية، الإمام المهدي عليه السلام، المدينة المهدوية

---

١. طالب الدكتوراة قسم الفلسفة من جامعة المصطفي صلى الله عليه وآله العالمية harisabiorsing5@gmail.com.

المقدمة

الحضارة (Civilization) من الكلمات التي تحمل في طياتها معنى ضخما واستعمالا شائعا في هذا العصر حيث نسمع لها بعد كلّ حين وآخر. وقد كتب عنها كثيرا من الكتب والمقالات والأبحاث الموسعة جدّا. وقد تكلّم الغرب في الآونة الأخيرة عن صراع الحضارات والحرب بينها، وكان صمويل هينتغتون أول من أطلق هذا الاصطلاح وشاع في الأوساط العلمية، وبدأ النقاش حوله. وكذلك قدّموا أطروحة "نهاية التاريخ" وانتشر البحث عنه.

ومن طرف آخر مجيء "مصلح العالم" قبيل نهايته عقيدة مشتركة بين جميع الأديان الإلهية، بل بين الأديان كلها. وقد تكلّم الدين الإسلامي عن هذا المصلح بعنوان "الإمام المهدي" عليه السلام. فقبل الدخول في صلب الموضوع حاولنا المقارنة بين مقولتي "صراع الحضارات" و"نهاية التاريخ" وبين الثورة المهدوية. وكان لابدّ أن نعيّن مرادنا من الحضارة الإسلامية وما هو الفارق بينها وغيرها من الحضارات، فألقينا عليها ضوءا مختصرا. وبما أن الحضارة، أي حضارة كانت، تتلخّص في التقدّم المادّي والمعنوي واللذان لهما مظاهر مختلفة، قسّمنا البحث إلى عنوانين. الأوّل منهما يتحدّث عن التقدّم المادّي والثاني عن التطور المعنوي في المدينة المهدوية.

ولم نجد من بحث هذا الموضوع مستقلا، إلا أنّ هناك من كتب عن بعض زوايا هذا البحث. فهناك من كتب المقال عن "صراع الحضارات والمهدوية" وهناك من كتب عن "الحكومة العالمية". والكتاب "الحكومة العالمية للمهدي عليه السلام" لآية الله ناصر مكارم الشيرازي حفظه الله من أفضل الكتب التي كتبت في هذا الموضوع.

وقد وردنا على النصوص الدينية المتعلّقة بالموضوع خالي الذهن، واستقرأناها وأدرجناها ضمن مجموعات، وحصلنا على بعض الأوصاف العامّة للمدينة المهدوية، والتي يمكن من خلالها فهم الجو العام لهذه المدينة والسمات التي تكون الحضارة الإسلامية متصفة بها في هذا العصر. وطبعا لم يكن بوسعنا الإتيان بجميع الأوصاف والخصائص التي ذكرت لهذه المدينة وأصحابها ولما يتعلّق بها في النصوص، فألمعنا إليها إشارة سريعة.

يستفاد من الروايات إن الإمام المهدي عليه السلام سيستفيد من أرقى أنواع العلوم والتكنولوجيا.

فنحن أيضا قمنا بالاستفادة من التكنولوجيا، وكان برنامج "جامع الأحاديث" الصادر عن مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية (النور) خير عون لنا في هذا المجال. وحاولنا، قدر الإمكان، الإحالة إلى المصادر الأصيلة والقديمة.

تعريف الحضارة

الحضارة لغة:

الحضارة من كلمة "حضر" بمعنى تشييد القرى والأرياف والمنازل المسكونة، عكس البدو والبداوة والبادية.

الحضرة جمعه حضارات. وهي الإقامة في الحضر. الحضارة: التمدّن، عكس البداوة، وهي مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني. [انظر: موقع المعاني]

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور:

حضر: الحضور، نقيض المغيب والغيبة.

حضر، يحضر حضورا وحِضارة.

والحضَر: خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي.

الحاضر: المقيم في المدن والقرى. والبادي: المقيم في البادية.

والحِضارة: الإقامة في الحضر. عن أبي زيد: وكان الأصمعي يقول: الحَضارة بالفتح. [ابن منظور، لسان العرب، مادة "حضر"]

نفهم من هذا المعنى اللغوي أولا: إنّ الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر وتدلّ غالبا على معنى التطور المادّي والعقلي نسبيا. وثانيا: يظهر من لسان العرب أنّ القراءة الصحيحة للكلمة هي "الحِضَارَة" بالكسر، ونسب قراءة الفتح إلى الأصمعي فقط. إلا أن "المعجم الوسيط" ذكر الكلمة بالكسر والفتح معا. فكلاهما صحيح.

ولكن هذه الكلمة لم تبق محصورا في دلالتها اللغوية، بل إنما أصابها من التطور ما جعلها تنتقل من الدلالة اللغوية إلى الدلالة الاصطلاحية الواسعة، قد يكون المعنى اللغوي بعيدا جدا

عنها.

الحضارة اصطلاحا:

اختلف المحققون والباحثون في تعريف الحضارة، وربما هي من المصطلحات التي قدّم لها كثير من التعريفات قد تتجاوز المئات، إن لم تكن في الآلاف. "وفي خضم التطور الذي شهدته كلمة الحضارة، صارت من أشدّ المصطلحات تعقيدا، نظرا لتباين التعاريف التي قدّمها العلماء لهذه الكلمة، سواء أعند العرب والمسلمين أم عند الغربيين." [حسن الأمراني، حول مفهوم الحضارة، ص٥٢، ٥٣.]

نقدم هنا بعض التعريفات عن الحضارة لنتسخلص منها تعريفا عاما جامعا لها.

ـ الحضارة هي المدنية. هذا التعريف تجعل الحضارة مرادفة لمصطلح المدنية. فالحضارة مدنية والمدنية حضارة. بناء على ذلك أولئك الذين هم يعيشون في البدو أو في القرى غير متحضرين، وإن كان لديهم مستوى من الفكر والسلوك.

كأنّ أصحاب هذا التعريف رأوا المعنى اللغوي للكلمة والاشتقاق اللغوي لها وعرفوها بناء على ذلك. فالحضارة على هذا المعنى هي الخروج من الحالة البدائية إلى حالة التمدن. [انظر: حسن الأمراني، حول مفهوم الحضارة، ص٥٣.]

ـ الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من انتاجه الثقافي، وتتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون. [انظر: موقع ويكيبيديا]

بناء على هذا التعريف يمكن لنا أن نقول إن العلم والفن هما عنصران متكاملان يقودان أي حضارة، وبهما يمكن لنا قياس تطوّر أي حضارة أو تخلّفها.

ـ عرّف المؤرخ الشهير ابن خلدون الحضارة في مقدمته للتأريخ هكذا:

الحضارة هي "التفنن في الترف، واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه." [ابن خلدون، المقدمة على التاريخ، ص١٥٦.]

ـ أمّا صاحب "قصة الحضارة" ويل ديورانت فهو يعرّف الحضارة بأنها "نظام اجتماعي يعين

الإنسان على الزيادة في انتاجه الثقافي." وهناك أربعة عناصر تشكل الحضارة: التقدّم الاقتصادي، النظم السياسية، التقاليد الأخلاقية والنشاط العلمي والفني. وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحرّرت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء. ومن هنا حتى "الهمجي" له حضارة أيضا بمعناها العام، لأنه ينقل تراث القبيلة إلى أبنائه. [انظر: الموقع الرسمي لمؤسسة ويل ديورانت، Will Durant, The Story of Civilization]

ـ الحضارة هي "ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادّية أم معنوية." [حسن مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطوّرها، ص١٣.]

ـ والحضارة عند "مالك بن نبي" تظل مرتبطة بالوحي الإلهي دائما. وهو يشبّه الحضارة بالشمس التي تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم تتحول إلى أفق شعب آخر. وهو لا يضع الحضارة في مقابل البداوة، كما ذهب إليه ويل ديورانت وغيره، لأن "في البداوة حسن غير مجلوب". فالحضارة عنده سياج حصانة للإنسان تحميه من الهمجية، وأنها تقابل البدائية، لا البداوة.

فالحضارة بمفهومها الكامل عنده هي "مجموع الشروط الأخلاقية والمادّية تتيح لمجتمع معين أن يقدّم لكل عضو من أعضائه، في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك الطور من أطوار نموّ." [انظر: قسوم، عبد الرزاق، إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي، الموقع الرسمي للأستاذ مالك بن نبي]

وبالعموم للتعرف على حضارة الشعوب وقياس تقدّمها تدرس العناصر التالية:

ـ طرق العيش والظروف الطبيعة

ـ الوضع الاقتصادي

ـ العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع

ـ أنظمة الحكم السائدة

ـ الإنجازات العلمية والثقافية والعمرانية

ويمكن لنا أن نقسّم صور التقدّم والرقيّ عند الإنسان ـ في أي حضارة كانت ـ في الأصناف الثلاثة التالية:[1] [انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، ص۱۱، ۱۲]

۱. ما يخدم الجسد ويمتعه من وسائل العيش، وأسباب الرفاهية والنعيم، ومعطيات اللذة للحس أو للنفس.

ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدّم العمراني، والزراعي، والصناعي، والصحي، والأدبي والفني، والانتاج الحيواني، واستخراج كنوز الأرض وما أشبه ذلك.

۲. ما يخدم المجتمع الإنساني ككل ويمنحه سعادة التعاون والإخاء، والأمن والطمأنينة والرخاء، وتمنحه سيادة النظام والعدل والحق، وانتشار الخير والفضائل الجماعية.

ويظهر هذا القسم في أي حضارة ضمن التقدم الاجتماعي له الشامل للنظم الإدارية، والحقوقية، والمالية، والشامل للأخلاق والعادات والتقاليد، وكل أنواع الثقافات والعلوم التي تخدم هذا الصنف.

۳. ما يأخد بيد الإنسان فردا كان أو جماعة إلى السعادة الخالدة التي تبدأ منذ فترة إدراك الإنسان ذاته والكون من حوله، وتنتهي إلى ما لا نهاية في وجوده الأبدي الذي ينتقل فيه من حياة جسدية إلى حياة روحية أبدية.

ويدخل في هذا القسم أنواع التقدم الفكري القائم على التأملات الحكمية التي توصل الإنسان إلى معرفة الخالق، وسرّ وجود الإنسان، وغايته ومصيره، وواجبه في الحياة الدنيا، وسبل سعادته الأبدية الخالدة. وهي جميعها تندرج تحت اسم المعتقدات والواجبات الدينية وسائر التكاليف والآداب الشرعية.

---

۱. من الجدير بالذكر، من باب الأمانة العلمية، أنا أخذنا هذا التقسيم الجميل من كتاب "أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها" واستفدنا منه بعينه في المقال هنا، وسنستفيد من الفكرة في التطبيق عند البحث عن المدينة المهدوية. إنشاء الله.

وسنحاول دراسة الحضارة الإسلامية في عصر الظهور والمدينة المهدوية في ضمن هذه العناصر والأدوات وفي ضوء الآيات والروايات التي تشير إلى عصر ما بعد الظهور. وقبل الدخول في صلب البحث لا بدّ من مقدّمة علمية تبحث عن مقولة "صراع الحضارات" التي تكلّم عنها صمويل هينتغتون والتي سببت ضجة كبيرة في الأوساط العلمية، بما أنّا نقرأ في الروايات عن حالة مشابهة لها أي الحرب والصراع بين الحضارات وغلبة الإسلام وحضارته على الأديان والحضارات كلّها بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

صراع الحضارات

مقولة "صراع الحضارات" لصمويل هينتغتون كانت في الحقيقة جوابا وردّا عن أطروحة "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" لفرانسيس فوكامايا حيث اعتبر فوكامايا أن الديموقراطية الليبرالية هي آخر ما وصل إليه الإنسان وهي التي ستأخذ الغلبة على الأنظمة السائدة حول العالم. فالحرية والفردية والمساواة والسيادة الشعبية وغيرها من مبادئ الليبرالية تشكّل مرحلة نهاية التطور الأيديولوجي للإنسان، وهكذا تكون عولمة الديموقراطية الليبرالية صيغة نهاية للحكومة البشرية. ولا يمكن للبشرية تقدم بديل أفضل من هذا النظام. وبهذا النظام تكون نهاية التاريخ والإنسان الأخير يعيش في هذا النظام.

خالف هينتغتون فوكامايا، وقدّم نظرية "صراع الحضارات" واعتبر أطروحة "نهاية التاريخ" قاصرة مجادلا أن الصراع ما بعد الحرب الباردة يبقى مستمرّا إلا أن النزاع خلال الحرب الباردة كان أيديولوجيا بين الرأسمالية والشيوعية، بينما النزاع القادم سيتخد شكلا مختلفا ويكون بين حضارات مختلفة، وستتحارب الحضارات وتتقاتل فيما بينها، وفي النتيجة لا تتخلف إلا الهلاك واالقتال والدمار. في نظر هينتغتون الخصائص الثقافية لا يمكن تغييرها، بين الانتماءات الأيديولوجية قد تتغير، كإنسان شيوعي يتبدّل إلى ليبرالي. فالحرب القادم بين الحضارات حرب مشكل وصدام كامل.

[Samuel P. Huntington, The Clash of Civilizations, Foreign Affaris, Volume 72 No. 3.]

أمّا الإسلام فهو أيضا يتكلم عن نهاية التاريخ ولكن بغلبة الدين الإسلامي ونظريته وحضارته على الأديان والحضارات كلها. "يَأْبَى اللهُ إِلّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ هَوَ الَّذي أَرسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى وَدِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُون" (التوبة: ۳۲، ۳۳) "ويرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُون" (الأنفال: ۷، ۸) والمدينة المهدوية التي بشرت عنها الآيات والروايات تخبر عن السعادة والخير والأمن والأمان في شتى الميادين و تبشّر عن الصلح والعدالة في كل العالم. فلا الديموقراطية الليبرالية هي قصوى ما وصل إليها الإنسان ولا نهاية الإنسان هي نهاية الهلاك والدمار، وقد قدّم الإسلام النظام البديل المتصل بالخبير المطلق منذ أربعة عشر قرن.

تفرّق نظرية "صراع الحضارات" بين الدّين والأيدولوجية مؤكّدة أنّ الغرب متمتّع بالأيدولوجية والشرق بالأديان كونه معهد الأديان كلّها. هذه الدعوى باطلة من الأساس ولا وجه لها مطلقا، بما أنّ الدين هو الإيمان والعمل الصالح معا، أي هو يعطى الرؤية الكونية الشاملة وكذلك الأيديولوجية الكاملة. الدين لا يعطي النظريات فقط، بل يتكلم عن إعمالها وجعلها عمليا بالخطوات المحكمة. المدينة المهدوية كذلك ليست نظرية فقط، بل يعتقد الإسلام بتحققها حتما.

ومن خطأ نظرية "صراع الحضارات" أنها ظنّت أن الدين هو نتيجة الحضارة ومحصولها. ونحن نعتقد بالعكس تماما حيث إن الدين الكامل الذي هو الرؤية الكونية والأيديولوجية معا هو الأساس للحضارة. الدين له منشأ وحياني، والحضارة هي جهد إنساني. فالحضارة الإسلامية في المدينة المهدوية ستقوم على أساس الدّين الإسلامي وتعاليمه الوحيانية.

المدينة المهدوية والحضارة الإسلامية

قبل التكلّم عن المدينة المهدوية لا بدّ من تقديم تعريف مختصر عن الإمام المهدي عليه السلام، حتى تتّضح معالم مدينته التي سيؤسسها بعد ظهوره. ولا بدّ من إلقاء الضوء مختصرا على الحضارة الإسلامية أيضا حتى يتبيّن لنا أنّه متى يمكن أن نقول عن حضارة أنّها إسلامية أو غير إسلامية.

لمحة موجزة عن الإمام المهدي عليه السلام

الإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة، وهو من سلالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد جاء في مصادر أهل السنة أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال:

"أبشركم بالمهدي، يبعث في أمتي."

"لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي."

"يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي." وغيرها من الروايات. [انظر: محمد أمير الناصري، الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، ص١٩، ٢٠.]

وقد ولد في سامراء سنة ٢٥٥ الهجرية. أبوه الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأمه السيدة نرجس عليها السلام. وبعد خمسة أعوام من ولادته غاب عن أعين الناس، وهو حي إلى اليوم وسيظهر بعد توفّر الشروط وسيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

أهل السنة من المسلمين أيضا يعتقدون بالإمام المهدي عليه السلام كالمصلح الذي سيظهر قبل قيام القيامة، إلا أنهم ينكرون ولادته الآن، ويقولون بمجيئه في الدنيا قرب الساعة. ففي صحيح الترمذي من كتب الصحاح عند السنة أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي". و"إن من أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا (سنين)." [الترمذي، صحيح الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، حديث ٢٢٣٧، و٢٢٣٩.] وهناك روايات كثيره بهذا المعنى. وقد جاء في بعض رواياتهم: "لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك رجل من أهل بيتي، اسمه يواطي اسمي." أو "اسمه كاسمي" أو "اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي." أو "اسم المهدي محمد." [انظر: الناصري، محمد أمير، الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، ص٢٣، ٢٤.]

وقد ذكرت كتب الفريقين علامات لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وأنه سيظهر على الأرض ويقاتل مع السفياني وغيره من قوى الشر. وأنه يفتح البلاد واحدا تلو الآخر حتى يسع حكمه إلى كل الأرض. وأن عيسى بن مريم عليه السلام يصلّى خلفه. [المصدر نفسه، صـ ٥٢ إلى ٥٦، صـ ٢٤٩، ٢٥٠.] وأنّه يؤسس لمدينة عادلة قائمة على التعاليم الإسلامية الأصيلة، خالية من كل أنواع

البدع والخرافات.

الحضارة الإسلامية

كل حضارة تقوم على نظام فكري خاص، وتهدف الوصول إلى غاية معيّنة تشخّصها الأصول والمباني الفكرية له. الإسلام بما أنه نظام كامل للحياة فهو يقدّم رأيه ونظريته في كل مجالات الحياة وجوانبها المادّية والمعنوية. الحضارة التي أسّست على النظام الفكري الإسلامي يقال لها حضارة إسلامية.

والحضارة التي تكلّم عنها الإسلام لم تبق في الأذهان فقط، ولم تقتصر على صفحات الكتب فحسب، بل لبس ثوب التحقق بيد صاحب هذه الدعوة. وكان المؤسس الأول لها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث وضع سماحته الحجر الأساس لأول مرّة لمدينة إسلامية وكذلك لحضارة إسلامية شامخة في شبه الجزيرة العربية. وقد استمرّت هذه الحضارة عبر القرون في أقصى نقاط العالم. ففي هذه الحضارة قام المسلمون بترقية العلم والفلسفة، والفن والأخلاق، والسياسة والاقتصاد وتطويرها. وكان مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول مركز والمنطلق الأساس لهذه الحضارة، ثم انتقل مركز ثقل هذه الحضارة إلى بغداد والقاهرة، وقرطبة وغيرها من البلاد، حتى استطاعت إصدار العلوم والفنون وتجربتها العملية إلى غير المسلمين وإلى أقصى نقاط العالم.

من أهم الخصائص التي تميز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات أنّها تقوم على التعاليم الإسلامية الرفيعة أمثال:

- التوجه إلى ما واراء الطبيعة وإلى البعد غير المادّي في الإنسان
- التوجه إلى المبدأ والمعاد
- الاعتراف بالحاجات المادّية والمعنوية معا والتأكيد على أشباعهما معا
- الأهمية الخاصة للعلم والمعرفة والتربية في الإسلام
- تأكيد الإسلام على مبدأ العدالة

المدينة المهدوية

طول وعرض المدينة المهدوية:

تؤكّد الآيات والروايات أن الإمام المهدي عليه السلام سيحكم على كل الدنيا وأن حكمه سيتمدد من شرق الأرض إلى غربها. " وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُم". (النور: ٥٥) الآية بإطلاق لفظ الأرض المحلى بالألف واللام تفيد استخلاف المؤمنين في الأرض كلها، وبما أن هذا الوعد لم يتحقق إلى الآن فسيتحقق حتما بظهور الإمام المهدي عليه السلام كما جاءت في الروايات.

فقد نقل أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها.. وتشرق الأرض بنور ربّها، ولا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عزوجل إلّا وعبد الله فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون." [ابن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، صـ ٣٤٥، ٣٤٦.]

وهناك روايات من الفريقين تؤكّد فتح جيش الإمام المهدي عليه السلام لكلّ من بلاد الصين، والقسطنطنية، والرومية وغيرها من البلاد وكذلك يفتح القدس، ومكّة، والمدينة والشام وغيرها من بلاد المسلمين، وتؤكّد أن الأرض تطوى له وأن الأعداء يذوبون أمامه كما يذاب الملح في الماء بمجرّد رؤيته عليه السلام. [محمد أمير الناصري، الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، ص٢٧٨ إلى ٢٩٢.]

مدّة ملكه عليه السلام:

الروايات متضاربة في تعيين مدّة ملكه عليه السلام. فقد جاء من سبع سنين إلى ثلاث مأة سنة وما زاد. وفي المقابل هناك روايات أبت عن تعيين المدّة وقالت أنه عليه السلام يحكم في الأرض ما شاء الله. [انظر: النعماني، الغيبة للنعماني، باب ٢٦، ما روي في مدّة ملك القائم عليه السلام بعد قيامه.]

ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي، أجلى،

أقنى، يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله ظلما، يكون سبع سنين." [طبري، محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، صـ۴۸۱.] فهذه الرواية عيّنت عمر ملكه عليه السلام سبع سنين، وهي أقلّ المدة التي جاءت في الروايات. وهناك روايات تقول عن عشرين سنة، وأربعين عاما، وثلاث مأة سنة ويزيد الله عليه تسعا كما لبث أصحاب الكهف في كهفهم. [انظر: الناصري، الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، ص۳۱۳، ۳۱۴.] فلا يمكن لنا بعد تضارب هذه الروايات أن نعيّن مدّة لملكه[1]، فنميل إلى الروايات التي تقول إنه يحكم ما شاء الله. ومن طرف آخر هناك روايات تؤكد أن الله يطوّل الليل والنهار في عصر الظهور بحيث يكون سنة واحدة في دولته عليه السلام مساوية لسبعين سنة عادية، أو لعشر سنوات. فلا يمكن لنا القطع بمدّة ملكه بوجه من الوجوه. ومن البعيد جدّا أن يمهّد الله لهذه الدولة بهذه التمهيدات، وتنتظر البشرية لهذه المدّة الطويلة وتتحمل كلّ هذه المصائب والآلام، ثم يكون عمرها قصيرا. فنطمئنّ إلى طول عمر المدينة المهدوية وتلألأ الحضارة الإسلامية فيها. والأدلّة التي تثبت الرجعة يمكن أن تكون شاهدا أيضا لطول مدّة حكمه عليه السلام.

الوضع المادّي في المدينة المهدوية:

الإسلام بما أنه دين الفطرة، فهو ينظر إلى كل جوانب الحياة. فلا يهمل طرفا بحق طرف آخر. فيعلّمنا الإسلام أن نطلب من الله تعالى خير الدنيا والآخرة معا: " رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً" (البقرة: ۲۰۱) وتؤكد على أن لا ننسى نصيبنا من الدنيا: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا" (القصص: ۷۷).

الحضارة الإسلامية في المدينة المهدوية من هذا المنطلق، وبما أنها ستقام على أساس تعاليم الدين الحنيف فهي أيضا لا تهمل الجانب المادّي في الحياة. يظهر من الروايات أن الوضع المادّي والاقتصادي سيكون على أفضل حال ورقيّ تامّ في المدينة المهدوية. نعم مما يؤكّد عليه دين

۱. نعم هناك من حاول الجمع بين هذه الروايات بحمل بعضها إلى نشأة دولته عليه السلام، وبعضها إلى زمن استقرار دولته، وأن بعضها ناظرة إلى هذه السنوات العادية وبعضها إلى السنوات الخاصة بزمن الطهور. إلا أن هذه التأويلات ليست أكثر من الاحتمالات، فلا يمكن القطع بها.

الإسلام عدم التركيز على طرف واحد وإهمال الطرف الآخر، بل لا بدّ من أن يكون هناك نوع من التعادل والتوازن بين الطرفين.

نذكر هنا بعض الروايات ضمن مجموعات تثبت هذا المعنى:

ـ تسخير الطبيعة في ظلّ دولة المهدي عليه السلام

تبيّن الروايات وضعا غير عادي في زمن دولة الإمام المهدي عليه السلام، حيث تؤكد على أن الخير والبركة تغمران كل الدولة، وأن الأرض والسماء تخرجان من بركاتهما، وأنّ أركان الطبيعة ستكون مسخرة بتمامها للجيش المهدي عليه السلام، بل للمؤمنين جميعا. وقد جاء في بعض الروايات أن المؤمن، في دولته، يحي الموتى بإذن الله.

ففي رواية عن محمد بن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، قال: "إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلا... ويبعث جندا إلى القسطنطنية، فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئا، ومشوا على الماء." [النعماني، الغيبة للنعماني، ص۳۱۹.]

وفي رواية طويلة لمفضل بن عمر، ينقلها عن الإمام الصادق عليه السلام:

"إذا قام القائم عليه السلام استنزل المؤمن من الطير من الهواء، فيذبحه، فيشويه، ويأكل لحمه، ولا يكسر عظمه، ثم يقول له: أحي بإذن الله. فيحيا ويطير. وكذلك الظباء من الصحاري.

ويكون ضوء البلاد نوره، ولا يحتاجون إلى شمس ولا قمر، ولا يكون على وجه الأرض مؤذ، ولا شرّ، ولا إثم، ولا فساد أصلا، لأن الدعوة سماوية، ليست أرضية. ولا يكون للشيطان فيها وسوسة، ولا عمل، ولا حسد، ولا شيء من الفساد، ولا تشوك الأرض والشجر، وتبقى زروع الأرض قائمة، كلما أخذ منها شيء نبت من وقته، وعاد كحاله. وإن الرجل ليكسو ابنه الثون فيطول معه كلما طال، ويتلوّن عليه أي لون أحبّ وشاء.

ولو أن الرجل الكافر دخل جحرا ضبّ، أو توارى خلف مدرة، أو حجر، أو شجر لأنطق الله ذلك الستر الذي يتوارى فيه، حتى يقول: يا مؤمن، خلفي كافر فخذه، فيأخذه ويقتله.

ولا يكون لإبليس هيكل يسكن فيه، ويصافح المؤمنون الملائكة، ويوحي إليهم، ويحيون الموتى بإذن الله." [الطبري، دلائل الإمامة، ص۴۶۲، ۴۶۳.]وفي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"إن المهدي من أهل بيتي، يخرج في آخر الزمان، ينزل له من السماء قطرها، وتخرج له الأرض بذرها..." [الطوسي، الغيبة للطوسي، ص۱۸۰.]

وفي الاحتجاج للطبرسي في ضمن رواية طويلة عن الإمام الحسن عليه السلام: "حتى يبعث الله رجلا في آخر الزمان... وتخرج الأرض نبتها، وتنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز... " [الطبرسي، الاحتجاج، صـ۲۹۱.]

وبهذا المعنى هناك روايات كثيرة أخرى.

ـ السخاء ووفرة العطاء في المدينة المهدوية

كما تقدّمت الروايات، أن الأرض والسماء تخرجان من خيراتهما في عصر ظهور الحجة عليه السلام، فلا يبق فقير في دولته. والوجه في ذلك معلوم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: "إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء. فما جاع فقير إلا بما منع (متع به) غنيّ، والله تعالى سائلهم عن ذلك." [نهج البلاغة، الحكمة رقم ۳۲۸.] وبما أن الغنيّ لا يمكن له المنع في دولته، وأن الثروة تقسّم بالعدالة والسوية فلا يوجد فقير، حتى أنه لا يجد الأغنياء من يتقبّل صدقاتهم ونحلاتهم.

ففي الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: "إذا ظهر القائم دخل الكوفة... ويعطي الناس عطايا مرتين في السنة، ويرزقهم في الشهر رزقين، ويسوّي بين الناس حتى لا ترى محتاجا إلى الزكاة، يجيئ أصحاب الزكاة بزكاتهم إلى المحاويج من شيعته فلا يقبلونها، فيصيّرونها ويدورون في دورهم، فيخرجون إليهم فيقولون لا حاجة لنا في دراهمكم... ويجتمع إليه أموال أهل الدنيا كلها من بطن الأرض وظهرها..." [المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، ج۵۲، ص۳۹۱.]

ـ القوة الجسمية في المدينة المهدوية

الإسلام يؤكّد على القوة الجسمية، مثلما يؤكّد على القوة النفسية والروحية. ففي الآية القرآنية "إِنَّ اللهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ" (البقرة: ۲۴۸) يشير إلى كلا القوتين اللتين منحهما الله تعالى لطالوت في الحرب مع الجالوت، وأنه تعالى يعطيهما للذين اصطفاهم. وقد جاء في الروايات أن المؤمنين في المدينة المهدوية يتمتعون بالقوة الجسمية الخاصة.

ففي الرواية عن علي بن الحسين عليهما السلام: "إذا قام القائم أذهب الله عن كلّ مؤمن العاهة وردّ

إليه قوّته." [النعماني، الغيبة للنعماني، ص٣١٨.]وكذلك في الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام: "إذا قام قائمنا أذهب الله عزوجل عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلا..." [المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١٧.]

وغيرها من الروايات بهذا المعنى. وهذه القوة الجسمية ستلعب دورا إيجابيا مهما في عمارة الأرض وتسخير إمكاناتها لأجل قيام أفضل حضارة على الإطلاق على الكوكب الأرضي.

ـ التطور التكنولوجي في المدينة المهدوية

تنبّيء الروايات عن تطوّر غير مسبوق في التكنولجيا وفي شتّى العلوم الحديثة في زمن الظهور بحيث تحيّر الأذهان وتدهش العقول. وكما سيأتي أن العقول ستكتمل في هذا العصر وأن الآفاق من العلوم ستفتح، وبالنتيجة ستتطور الوضع المادي وستتقدّم الأدوات والآلات التكنولوجية.

ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الارض بنور ربها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وصار الليل والنهار واحدا، وذهبت الظلمة، وعاش الرجل في زمانه ألف سنة.. يكسوه الثوب فيطول عليه كما طال، ويتلوّن عليه أي لون شاء." [الطبري، دلائل الإمامة، ص٤٥٤.]

فاستغناء الناس عن نور الشمس، وصيرورة اليل والنهار واحدا، وكون عمر الإنسان ألف سنة، وتغيير طول الثوب ولونه حسب إرادة الإنسان وغيرها من الحقائق التي أشير إليها في الروايات لا تتحقق بالكرامة أو المعجزة، وإنما عن الطريق العادّي. كأن الإنسان يصل إلى حقيقة النور وسيصل إلى المبدأ الأصلي للطاقة، ويستفيد منهما، فيصير الليل كالنهار في ضوء هذه المستجدّات.

وإذ أشكل أحد كيف يمكن وقوع هذه الحوادث؟ والعقل البشري يستبعده.

نقول له في الجواب إن هذه الأمور ليست فيها الاستحالة العقلية. نعم في العادة لا تتحقق مثل هذه الأمور. فالشك في تحقق هذه الوقائع شك في قدرة الله. فبلطف من الله وبتطور التكنولوجيا لا يبعد وقوع كل هذه الحقائق. الإنسان الذي كان يعيش قبل أربعة عشر قرن، كيف كان يتيقّن بطيران الإنسان في الهواء أو سماع صوت الإنسان على بعد آلاف كيلو مترات!

واليوم لقد تحققت هذه الأحلام. كذلك الوقائع التي أشيرت إليها في الأحاديث التي تتكلم عن الحضارة الإسلامية المهدوية.

وكذلك في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، نقلها عنه ابن مسكان: "إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق." [المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، ج۵۲، ص۳۹۲.] وكذلك في الرواية: "إن قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه." [المصدر نفسه، ص۳۳۶]

والملفت للنظر أن المذكور في هذه الروايات هو العباد والمؤمنون والشيعة. فلا يمكن لأحد القول بصدور هذه الأمور من صاحب الزمان عليه السلام وعدّها من كراماته. فإن الروايات نسبتها إلى العباد العاميين. فستحقق هذه الأمور بتطور العلوم والتكنولوجيا من العوام، لا من الإمام. وقد تحقق بعض من هذه الأمور في عصرنا هذا. أما بالنسبة إلى الإمام فقد أشارت روايات إلى أمور أخرى، أكثر تطورا وخطورة من هذه.

وكذلك هناك روايات تفيد بطول عمر الإنسان العادّي في هذه المدينة. فقد نقل عن الإمام الصادق عليه السلام: "إن قائمنا إذا قام... يعمّر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر، لا تولد فيهم أنثى..." [المصدر نفسه، ص۳۳۷] تدلّ هذه الروايات على التقدم في العلوم الطبية بحيث تقلّ الأمراض والأوبئة والأسقام ويطول عمر الإنسان. وقد أنجز الطب في عصرنا هذا كثيرا من هذه الأمور. فلا نستبعد وقوعها أبدا.

ـ الوضع المعماري في المدينة المهدوية

الفنون من أهم أركان الحضارة. ومنها الفنّ المعماري. ويمكن لنا مقياس تقدّم أي حضارة بتقدّم فنونها. فالحضارة المصرية القديمة كانت غنية جدّا في عصر فراعين، وخير الشاهد عليه الإهرامات المصرية. الحضارة الإسلامية لها سمات خاصة في فنونها المعمارية، بما في ذلك النقوش والرسوم والفسيفساء وغيرها من أدوات التجميل.

تشير الروايات إلى وضع خاص في الفنون المعمارية في الحضارة الإسلامية المهدوية.

ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: "إذا قام القائم دخل الكوفة وأمر بهدم المساجد الأربعة حتى يبلغ أساسها ويصيّرها عريشا كعريش موسى، وتكون المساجد كلها جماء لا شرف لها كما كانت على عهد رسول الله. ويوسّع الطريق الأعظم، فيصيّر ستين ذراعا. ويهدم كلّ مسجد على الطريق ويسدّ كل كوّة إلى الطريق، وكل جناح وكنيف وميزاب إلى الطريق... " [الطوسي، الغيبة للطوسي، ص٤٧٥.] وربما إعادة المساجد إلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إشارة إلى ما كان من فعاليات عامّة تقام في المساجد من أمور الحرب إلى السياسة والاقتصاد والاجتماع والقضاء وغيرها. فتكون المساجد هي المراكز لانطلاق النهضة المهدوية. والمحراب الذي سمي لمكان خاص في المسجد ليس إلا لكونه مكانا للحرب العقائدي والدفاعي عن الأنفس والأموال والحرمات.

وهذه الرواية تشير كذلك إلى التفات خاص لصاحب هذه الحضارة إلى توسعة الطرق وجعلها مطمئنة وآمنة بسدّ كل مزاحم عنه، وكذلك إعادة المساجد إلى ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدلّ على حرصه في إزالة كل ما لا فائدة منه أو كانت ضياعا للمال. وقد قيل في تفسير "عريشا كعريش موسى" أن يكون السقف بحيث تصل إليها الأيدي إذا شاءت.

وهناك روايات تشير إلى توسعة المدن في هذه الحضارة المترقية. ففي ضمن رواية طويلة رواها مفضل بن عمرو عن سيده الصادق عليه السلام: "وليصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلا، وليجاورنّ قصورها كربلاء، وليصيرن الله كربلاء معقلا..." [المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٢.] وكذلك في الرواية: "إن قائمنا إذا قام... يبني في ظهر الكوفة مسجدا له ألف بابا، ويتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء بالحيرة..." [المصدر نفسه، ج٥٢، ص٣٣١.]

الوضع المعنوي في المدينة المهدوية:

كما تقدّم، إن الإسلام بما أنه دين الفطرة، فهو يعطي الأهمية لكل جوانب الحياة. الحضارة الإسلامية التي أسست في المدينة النبوية مثلّت النموذج الأمثل في كل من الإيثار والإخلاص، والجود والكرم، والسخاء والوفاء، والشجاعة والسماحة، والصبر والشكر، والعبودية و..... وغيرها من القيم المعنوية. وستعاد هذه القيم بأعلى درجاتها في الحضارة التي ستراها البشرية في

ظلّ الدولة المهدوية.

ـ الخلائق كلها ترضى عنه في دولته

ففي رواية عن حذيفة بن يمان عن رسول الله ﷺ: "المهدي من ولدي، .... يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يرضى بخلافته أهل السماء، والطير في الجوّ...." [الطبري، دلائل الإمامة، ص۴۴۱.]

وفي الاختصاص للشيخ المفيد عليه الرحمة، عن رسول الله ﷺ: "اسمه اسمي، فعند ذلك (المدينة المهدوية) تفرح الطيور في أوكارها، والحيتان في بحارها." [المفيد، الاختصاص، ص۲۰۸.]

ـ إكمال العقول وتقدّم العلوم في المدينة المهدوية

كما هو المعلوم أن الثقافة جزء لا بدّ منها في كل حضارة. وقد عرّفها الباحثون بالجزء غير المادّي في الحضارة بما ذلك العلوم والعادات والأخلاق والقيم وغيرها من الاتجاهات المشتركة. كثير من الخلافات والفساد المالي والأخلاقي وغيرهما تنتج من عدم العلم والمعرفة. المعايير التي توزن بها الأمور ستتغير مأة وثمانين درجة بعد إكمال عقول الناس في عصر الظهور.

تؤكد الروايات على أن العقول البشرية ستصل إلى قمّة نضجها وكمالها في عصر الظهور، حيث تنفجر عيون الحكمة والعلم والمعرفة.

ففي رواية عن عن الإمام الباقر عليه السلام: "إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع به عقولهم، وكملت به احلامهم." [الكليني، أصول الكافي، ج۱، ص۲۵.]

وفي الرواية الإمام الباقر عليه السلام: "كأنني بدينكم هذا لا يزال متخضضا، يفحص بدمه ثم لا يردّه عليكم إلا رجل منا أهل البيت، فيعطيكم في السنة عطائين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه، حتى إن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله." [النعماني، الغيبة للنعماني، ص۲۳۹.]

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: "العلم سبعة وعشرون حرفا، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفا،

فبثّها في الناس، وضمّ إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا." [المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٣٦.]

هذه الأحاديث تدلّ بوضوح على حركة علمية غير مسبوقة في التاريخ في زمن النهضة المهدوية، وتدلّ على تقدّم الحركة العلمية وتضاعفها ١٢ مرة. والعلوم التي أعطيت في زمن الأنبياء جميعا ستعطى في هذه المدة وحدها، وستفتح أبواب كل العلوم المفيدة على البشرية، والطريق الذي سلكته البشرية طيلة الآلاف من السنوات ستمرّ عليه وعلى أكثر من ذلك في مدّة قصيرة. [الشيرازي، حكومت جهانى مهدى، ص١٥٤.] وفي النتيجة ستنتهي أنواع الجهالة التي هي أساس الشرّ والتعصب والعناد. كما قال سيدنا علي بن أبي طالب عليهما السلم: "العلم أصل كل خير، والجهل أصل كلّ شر." [الآمدي، غرر الحكم، ص٤٨.] وبما أنه لا جهل في المدينة المهدوية، فلا شرّ فيها، والحضارة التي ستلألأ فيها تكون حضارة الخير والعطاء، حضارة العلم والمعرفة، حضارة الوسعة والرخاء.

ـ الأمن والسلام في المدينة المهدوية

لا يمكن تقدّم أيّ حضارة إلا في ظلّ السلام والأمن والأمان. فالحروب والقتال لا تترك خلفها إلا الهلاك والدمار. فهي إن لم تدمّر الحضارات، لا تساعد في تقدّمها، وتطورها ونموّها. فالروايات تقول بالحروب الدامية في بداية القيام المهدوي، إلا أنها تبشر بنهاية الخير والسعادة، بحيث تقلع قوى الشرّ من أساسها، ولا يبقى في هذه الدنيا إلا الخير، والأمن والأمان، والسعادة.

وعد الله تعالى المؤمنين في القرآن الكريم أنه سيبدّل خوفهم أمنا: "وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً." (النور: ٥٥) وهذه البشارة ستحقق بظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: "سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِين" (السبأ: ١٨) عندما سأله أبو حنيفة عن المراد منها: "أين ذلك من الأرض؟ أحسبه ما بين مكة والمدينة. فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال أتعلمون أن الناس يقطع عليهم بين المدينة

ومكة فتؤخذ أموالهم ولا يأمنون على أنفسهم ويقتلون. قالوا: نعم. فسكت أبو حنيفة. (وعند ذلك أجاب الإمام الصادق عليه السلام لأبي بكر الحضرمي) "سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. (يكون ذلك) مع قائمنا أهل البيت." [المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١٥.]

وقد جاء في الروايات إن الأمن سيدوم في هذه المدينة بحيث لا يخاف أحدا من شرّ أحد بحيث يشرب الأسد والشاة من مشرب واحد، وبحيث تسافر امرأة وحدها من مدينة إلى أخرى بدون أي خوف أو دهشة.

ـ عدالة القضاء والحقوق في دولة المهدي عليه السلام

العدل من أهمّ الأركان في بناء أي حضارة وتقدّمها. لا يمكن أن يستمرّ الملك، ولا الدولة، ولا الحضارة إذا كان الظلم هو المسيطر فيها. كما اشتهر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: "الملك يبقى مع الكفر، ولا يبقى مع الظلم." والقرآن الكريم يعلّل نزول العذاب الإلهي بالظلم والعدوان. " فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ" (الأعراف: ١٦٢). فلأجل ذلك تخبرنا الروايات عن بسط القسط والعدالة في الحضارة الإسلامية التي ستشرق في ظلّ المدينة المهدوية.

كثير من الروايات يؤكّد على أنه عليه السلام يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا، بل يمكن لنا أنا نقول، وبكل جرأة، إن الروايات التي تؤيد هذا المعنى تصل إلى حدّ التواتر المعنوي.

ففي أصول الكافي ينقل أصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام: "فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما..." [الكليني، أصول الكافي، ج١، باب في الغيبة، ص٣٣٨.]

وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: "إذا قام قائم أهل البيت قسم بالسوية، وعدل في الرعية... وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرّم الله عزوجلّ، فيعطي شيئا لم يعطه أحد كان قبله ويملأ الأرض عدلا وقسطا ونورا." [النعماني، الغيبة للنعماني، ص٢٣٨.]

بل أكثر من ذلك، هناك روايات سمّت الإمام المهدي عليه السلام بالعدل، إطلاقا للمصدر على الذات، مشيرا إلى شدّة عدله، كما كان جدّه علي ابن طالب عليهما السلام الذي قيل فيه: "قتل في

محراب العدالة لشدّة عدله." ففي زيارة له عليه السلام: "السلام على القائم المنتظر والعدل المشتهر." [المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٩، ص١٠٢.] وفي زيارة أخرى: "وأتقرّب إليك بالإمام القائم العدل المنتظر المهدي إمامنا وابن إمامنا..." [المصدر نفسه، ج٩٢، ص٣٣٨.] وهناك روايات تقول إن المهدي عليه السلام يحكم بحكم داود وآل داود، ولا يسأل الناس البيّنة، بل يعطي كل نفس حكمها. [المصدر نفسه، ج٥٢، ص٣١٩، ٣٢٠.]

وبإجراء العدالة يمكن الحصول على هذه الأهداف:

١. بإجراء العدالة الاجتماعية وتقسيم الثروة بالعدالة والسوية يمكن إقلاع جذور كثير من المفاسد الاجتماعية حيث إن أسبابها ترجع في النهاية إلى الطبقات الاقتصادية والاكتناز والخيانة والغبن وغيرها من الحيل التي يتخذها أصحاب الثروة.

٢. تعليم الناس العدالة وتربيتهم على أساسها ستغيّر كثيرا من الظواهر في المجتمع. فالنظام الرأسمالي مثلا يعلّم أصحابه التبعيض والظلم والعدوان والحيلة و... حيث يشوقهم باكتساب الأموال بأي طريق كان. أما النظام الإسلامي فهو يوصي بحقوق الآخرين دوما. " وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ" (المعارج: ٢٤، ٢٥). مثل هذه التوصيات تساهم في تقليل المفاسد الاجتماعية كثيرا.

٣. أن يكون هناك من يقيم العدالة بكل قيمة ووسيلة، وأن يعرف الناس أنه لا مفرّ منه إذا أظلم أحدا، وأنه يجري العدالة من دون فرق بين القوي والضعيف، الثري والفقير سيساهم في إنهاء الفساد ومخالفة القانون. [انظر: الشيرازى، حكومت جهانى مهدى، ص١٦٤، ١٦٥.]

فهكذا بإجراء القانون والعدالة يمكن حصول كثير من الأهداف والغايات التي لا بدّ منها في أي حضارة مترقّية. والعدالة من أهم أركان الحضارة الإسلامية في المدنية المهدوية والتي أكدّت عليها في كثير من الروايات.

نتائج البحث

توصّل البحث في النهاية إلى نتائج مهمة، نذكر بعضا منها وبالاختصار:

١. الحضارة في اللغة تعنى الإقامة في المدن، وهي في الاصطلاح لبست معنا جديدا وتعني

التقدّم المادّي والمعنوي. وهناك مقاييس خاصة توزن بها تقدّم أيّ حضارة.

٢. صمويل هيتغتون أطلق مقولة صراع الحضارات وحذّر من صدام الحضارت ونهاية العالم بالصدام والخراب، وفوكومايا بشر بنهاية التاريخ بغلبة الليبرالية الغربية، بينما المدينة المهدوية تبشّر عن نهاية الخير والسعادة للبشرية وغلبة النظام الإسلامي وحضارته على الأديان والحضارات كلها.

٣. الإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة. إخواننا السنة يعترفون بالإمام المهدي عليه السلام ونهضته، إلا أنهم ينكرون ولادته فقط.

٤. الحضارة الإسلامية هي الحضارة التي أسست بناء على النظام الفكري الإسلامي الذي أخذ جذورها من الوحي والاتصال بالغيب الإلهي. وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أوّل مؤسس لها.

٥. تدلّ بعض الآيات وكثير من الروايات على أن المدينة المهدوية ستتمدّد من شرق الأرض إلى غربها، وأنّ مدّة حكمه وفترة حضارته تكون طويلة أيضا.

٦. الوضع المادّي في الحضارة الإسلامية التي ستشهدها البشرية بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام يكون إلى أحسن حال. تدلّ الروايات على أنّ الطبيعة بجميع أجزائها تكون مسخّرة في هذه المدينة، وأن الأرض والسماء تخرجان من خيراتهما، وأنّ الناس يكونون أغنياء بحيث لا يوجد من يقبل الخيرات والصدقات، وأنّ الناس سيتمتّعون بقوة جسمية غير عادّية، وأن التكنولوجيا والعلوم ستتطور مرات كثيرة من الوضع الحالي. وكذلك ستشهد البشرية فنونا جديدة معمارية وتشكيلية وغيرهما، وأن المدن ستتوسّع...

تدلّ الروايات على أنّ الوضع المعنوي والفكري سيتطوّر في المدينة المهدوية بحيث إنّ العقول ستكتمل، وإن النهضة العلمية والفكرية تترقى أضعافا مضاعفة، والأمن والسلام سيدومان في هذه المدينة، وأن العدالة الحقيقة هي التي ستسيطر فيها وتكون لها الكلمة الأخيرة. وبالنتيجة يرضى الخلائق كلهم، وتنتهي الأجرام والفساد بشتى أنواعه. وهكذا يقتربون العباد إلى الهدف الذي خلقوا من أجلهم، أي العبادة، والمعرفة والسعادة والقرب من الله عزوجلّ.

المصادر والمراجع

۵۲.القرآن الكريم

۵۳.ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر غفارى، نشر إسلامية تهران، ط ۲، ۱۳۹۵ هـ.

۵۴.ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ۱، ۱۴۰۸هـ.

۵۵.الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الحكم، تحقيق: سيد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلامية، قم إيران، ط ۲، ۱۴۱۰ هـ.

۵۶.الأمراني، حسن، حول مفهوم الحضارة، مجلة حراء، العدد ۳۱، (ص ۵۳ ـ ۵۵).

۵۷.الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت لبنان، ط ۱، ۱۴۲۲ هـ.

۵۸.الشريف لرضي، السيد أبو الحسن محمد بن الحسين، نهج البلاغة، ترجمه: على شيروانى، نهاد معظم رهبرى در دانشگاه ها، قم إيران، ۱۳۹۰ش.

۵۹.الشيرازي، ناصر مكارم، حكومت جهانى مهدى، انتشارات نسل جوان، قم إيران، ط ۵، ۱۳۸۶ش.

۶۰.الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، تحقيق: محمد باقر خرسان، نشر مرتضى مشهد إيران، ط ۱، ۱۴۰۳ هـ.

۶۱.الطبري، محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، نشر بعثت، قم إيران، ۱۴۱۳ هـ.

۶۲.الطوسي، محمد بن الحسن، كتاب الغيبة للحجة (الغيبة للطوسي)، تحقيق: عباد الله تهرانى وعلى احمد ناصح، دار المعارف الإسلامية، قم إيران، ط ۱، ۱۴۱۱ هـ.

۶۳.المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص، تحقيق: على أكبر غفاري ومحمود محرمي زرندي، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم إيران، ط ۱، ۱۴۱۳هـ.

۶۴.الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، تحقيق: على أكبر غفارى ومحمد آخوندى، دار الكتب الإسلامية، تهران، ط ۴، ۱۴۰۷هـ.

۶۵.المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ۲، ۱۴۰۳ هـ.

۶۶.مؤنس، حسن، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطوّرها، عالم المعرفة الكويت، ط ۱، ۱۹۷۸م.
۶۷.الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، دار القلم دمشق، سورية، ط ۲، ۱۴۰۰هـ.
۶۸.الناصري، محمد أمير، الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، إشراف: الشيخ محمد علي التسخيري، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ط ۲، ۱۴۲۸هـ.
۶۹.النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة للنعماني، تحقيق: على أكبرغفارى، نشرصدوق، تهران، ط ۱، ۱۳۹۷ هـ.
۷۰.المواقع الالكترونية:
۷۱.الموقع الرسمي للأستاذ مالك بن نبي: http: //www.binnabi.net
۷۲.الموقع الرسمي لمؤسسة ويل ديورانت: http: //will-durant.com/civilization.htm
۷۳.موقع المعاني: http: //www.almaany.com/ar
۷۴.موقع ويكيبيديا: https: //ar.wikipedia.org/wiki

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Will Durant, The Story of Civilization, Part: 1,Simon and Schuster Publications, New York 2005.
2. Samuel P. Huntington, The Clash of Civilizations, Foreign Affaris, Volume 72 No. 3, Summer 1993.